

المواقف الإفريقية من القضية الفلسطينية.. الدوافع والمسارات



أ . د. حمدي عبد الرحمن (*)

مقدمة:

يمكن القول بأن المواقف الإفريقية من القضية الفلسطينية، بوصفها حركة تحرّر وطني، قد اتّسمت منذ استقلال غانا عام ١٩٥٧م بالتعقّد والتغيّر وعدم التجانس، وهو الأمر الذي يدفع إلى إثارة أكثر من سؤال واحد حول الدوافع والأسباب التي تفسّر لنا موقف الأفارقة إزاء الكيان الصهيوني منذ نشأته؛ بوصفه كياناً مصطنعاً في قلب الأمة العربية عام ١٩٤٨م.

ولعل ذلك يطرح أيضاً أهمية الإشارة إلى متغيّرات ثلاثة تساعدنا على الفهم والتحليل:

أولها: أن فرض الكيان الصهيوني في منطقة الشرق الأوسط أدّى إلى خلق نظام إقليمي صراعي، حيث أضحى سمة لازمة للتفاعلات العربية الإسرائيلية، يعني ذلك أن تحرّك إسرائيل في تفاعلاتها الخارجية، وخصوصاً مع القارة الإفريقية، جعلها ترتبط بهذه الوضعية التي أخرجت علاقاتها مع دول المنطقة عن مصافّ العلاقات الطبيعية بين الدول.

وثانيها: ارتباط العلاقات الإسرائيلية الإفريقية وتأثرها بالعلاقات العربية الإفريقية، وهو ما أدى إلى النظر إلى القارة الإفريقية بوصفها ساحة للتنافس والصراع بين إسرائيل والدول العربية.

وثالثها: ارتباط كلٍّ من إسرائيل والعرب والأفارقة بمتغيّرات النظام العالمي، حيث تأثرت العلاقات بين هذه المجموعات بإرادة النظام العالمي وتوجهاته، سواء القديم أو الجديد، وربما يكون التغيّر الهيكلي الذي شهده النظام العالمي منذ بداية أعوام التسعينيات، وأودى بحياة الحرب الباردة في غير مصلحة العرب والأفارقة، هو ما أفاد يقيناً الدولة الصهيونية التي راحت تُعيد ترتيب أولويات تحركاتها الخارجية بما يحقق لها الهيمنة الإقليمية، وأحلامها التوراتية في بناء دولة إسرائيل الكبرى.

وتحاول هذه الدراسة الموجزة بلورة بعض القضايا والمتغيّرات التي تساعدنا على فهم التحوّلات والتبدلات في المواقف الإفريقية من القضية الفلسطينية من جهة أولى، وتتبع مسارات هذه المواقف من جهة ثانية، وذلك على النحو الآتي:

أولاً: المواقف الإفريقية من القضية الفلسطينية.. محاولة للفهم:

من الملاحظ أن مواقف الدول الإفريقية، ولا سيما غير العربية، من القضية الفلسطينية، قد شهدت تحوّلات فارقة خلال الأعوام الخمسين الماضية، وربما تُعزى تلك التحوّلات إلى تغيّر الاهتمامات وترتيب الأولويات الإفريقية، فضلاً عن تطوّر ديناميات النظام العالمي، فالدول الإفريقية خلال عقد الستينيات أقامت علاقات دبلوماسية ودخلت في إطار منظومة

(*) أستاذ العلوم السياسية بجامعتي القاهرة وزايد.

تعـــاون هادفة مع إســـرائيل، وهو الوضع الذي ســـرعان ما شهد نهاية حاســـمة له بعد حرب أكتوبر ١٩٧٣م، وقيام الـــدول الإفريقية بقطع علاقاتها الدبلوماســـية بإسرائيل، وقد حاولت الدبلوماسية الإسرائيلية إعادة وصل ما انقطع مع إفريقيا خلال فترة الثمانينيات، وقد تحقّق لهـــا ما أرادت بعد توقيع اتفاقات أوســـلو عام ١٩٩٣م.

ولفهم هذه التحوّلات في المواقف الإفريقية يمكن الاشارة إلى العوامل الآتية:

تحوّلات الصراع العربي الإسرائيلي:

لا شـــك أن حرب عام ١٩٦٧م مثّلت تطوّراً مهماً في المواقف الإفريقية إزاء طبيعة الدولة الإســـرائيلية، حيث نظر الأفارقة إلى إسرائيل بوصفها قوة احتلال تحتل أراضي دولة إفريقية، صحيـــح أن موقف منظمة الوحدة الإفريقية لم يكن حاســـماً بدرجة كافية، ولكنّـــه أكد تأييد قرار الأمم المتحدة ٢٤٢ القاضي بعدم شرعية احتلال إسرائيل للأراضي العربية.

الإدراك الإسرائيلي يأتي دوماً في سياق الوعي بحقيقة الصراع العربي الإسرائيلي، وإمكانية الاستفادة من الدور الإفريقي

وكانـــت غينيـــا بقيـــادة الرئيـــس أحمد ســـيكوتوري هي الدولة الإفريقية الوحيدة التي قطعت علاقاتها الدبلوماسية مع إسرائيل بعد عدوان ١٩٦٧م مباشـــرة، بيـــد أنه مع تصاعد الدعم العربـــي لحركات التحـــرّر الوطني في الجنوب الإفريقـــي، وخيبة أمل القادة الأفارقة من الدول الغربية لعدم مســـاعدتها في تنفيذ الخطـــة الإفريقيـــة الرامية إلـــى عزل جنوب إفريقيـــا والبرتغال وروديســـيا، فـــإن الانتقاد الإفريقـــي للعدوان الإســـرائيلي ازدادت حدّته حتى وصل الأمر، قبل نشـــوب حـــرب أكتوبر ١٩٧٣م، إلى حدّ قطع العلاقات الدبلوماســـية، ففي عام ١٩٧٢م قامت أوغندة بقطع علاقاتها مع إســـرائيل، ثم تبعتها ســـبع دول أخرى، هي تشـــاد ومالـــي والنيجـــر والكونغـــو برازافيل وبوروندي وزائير (الكونغو الديمقراطية حالياً) وتوجو[1].

وإذا كانت حروب الشرق الأوسط بين العرب وإسرائيل قد أحدثت مزيداً من التعقيدات في مركب العلاقات الإسرائيلية الإفريقية، فكذلك فعلت مبادرات التســـوية السلمية في المنطقة، ففي أعقـــاب قيـــام الرئيس المصـــري أنور الســـادات بزيارة القدس عام ١٩٧٧م، وتوقيعه على اتفاقات كامـــب ديفيد عام ١٩٧٩م، بُذلت محاولات عربية دؤوبة لعزل مصر إفريقيًّا، بيد أنها لم تنجح مطلقـــاً[2]، ففي القمة الإفريقية التـــي عُقدت فـــي ليبيريا عـــام ١٩٧٩م قامت ســـت دول عربيـــة أعضاء فـــي المنظمة، من بينها المغرب والجزائر وليبيا، بمقاطعة القمة احتجاجاً على وجود السادات.

وقـــد عملت إســـرائيل حثيثاً علـــى إعادة روابطها الإفريقية، وهو ما اتضح جلياً في عودة علاقاتها مـــع زائير (الكونغو الديمقراطية) في ١٤ مايو ١٩٨٢م.

إن تحليل الموقف الإفريقي بعد كامب ديفيد يُفصح بأن الأســـاس الـــذي بمقتضاه اتخذت

(١) خليل إبراهيم الطيار: محاولات إسرائيل العودة إلى إفريقيا وعلاقتها باتفاقية التعاون الاستراتيجي مع الولايات المتحدة، شؤون عربية، عدد ٤٧، أيلول / سبتمبر ١٩٨٦م، ص ١٦٤.

(٢) Kwarteng، Charles، «the Arabs، Israel and Black Africa: the politics of courtship»، Round Table، No 322، April، 1992، p 178.



الدول الإفريقية قرار المقاطعة لإسرائيل قد انهار بعد تبادل السفراء بين كلٍّ من القاهرة وتل أبيب، وطبقاً لأحد الكتّاب الأفارقة فإن «مصر، وهي عضو في منظمة الوحدة الإفريقية، هي التي قادت إفريقيا لمقاطعة إسرائيل، أما الآن؛ فقد تبادلت كلٌّ من مصر وإسرائيل السفراء، وما زلنا نحن الذين ذهبنا لمواساة مصر على فقدانها سيناء غير قادرين على العودة من هذه الجنازة إلى بيوتنا»(١).

أيّاً كان الأمر؛ فإن الإدراك الإفريقي لإسرائيل، بوصفها دولة صغيرة محدودة الموارد محاطة بأعداء من كلّ جانب، ومع ذلك استطاعت بناء نموذج تنموي يمكن أن يُحتذى، قد تغيّر بعد احتلالها الأراضي العربية في عدوان ١٩٦٧م، بيد أن هذا الإدراك قد تغيّر مرة أخرى مع بدء مسيرة التسوية السلميّة، وكان ذلك مرة أخرى لمصلحة إسرائيل.

القوة التصويتية لإفريقيا في الأمم المتحدة والاستقطاب الدولي:

إن الأهمية الإفريقية في الأمم المتحدة من حيث قدرتها العددية لم تكن خافية على إسرائيل منذ البداية، فرئيس الوزراء الإسرائيلي ديفيد بن جوريون أكّد أن «الدول الإفريقية ليست غنية، ولكن أصواتها في المحافل والمؤسسات الدولية تعادل في القيمة تلك الخاصة بأمم أكثر قوة»(٢).

وكان هذا الإدراك الإسرائيلي يأتي دوماً في سياق الوعي بحقيقة الصراع العربي الإسرائيلي، وإمكانية الاستفادة من الدور الإفريقي في هذا المجال، وليس أدل على هذه الأهمية من أنه عندما اجتمعت الجمعية العامة للأمم المتحدة في منتصف يونيو ١٩٦٧م في جلسة خاصة، بناء على طلب الاتحاد السوفييتي، تأثر الموقف الإفريقي بدور الأطراف الخارجية، ولا سيما الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتي، حيث حاول كلٌّ منهما ممارسة الضغوط لتمرير القرار الذي يتبنّاه، فقد طُرح مشروع قرار باسم «مجموعة عدم الانحياز»، قدّمته يوغوسلافيا، ونُظر إليه بأنه موال للعرب، كما طُرح مشروع قرار آخر باسم «مجموعة دول أمريكا اللاتينية»، ونُظر إليه بوصفه موالياً لإسرائيل.

وبتحليل السلوك التصويتي للمجموعة الإفريقية؛ يمكن التمييز بين أربع مجموعات فرعية متباينة (حسب الجدول رقم ١):

ففي المجموعة الأولى: صوّتت ثماني دول إفريقية لتأييد قرار أمريكا اللاتينية، وهو ما يعني تأييداً للموقف الإسرائيلي، وقد ضمّت هذه المجموعة دولاً متعاطفة مع إسرائيل، مثل ليبيريا وجامبيا وتوجو، بالإضافة إلى غانا التي جاء تصويتها ضمن هذه المجموعة بوصفه نوعاً من الانتقام ضد مصر التي ساندت الرئيس نكروما، والذي أُطيح به في انقلاب عسكري عام ١٩٦٦م.

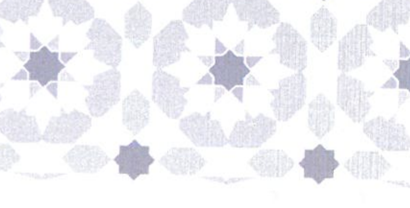
أما المجموعة الثانية: والتي ضمّت ١٢ دولة إفريقية، فإنها أيّدت بشكل غير حاسم قرار أمريكا اللاتينية، فهي إمّا دول صوّتت لتأييد القرار الأمريكي اللاتيني وامتنعت عن التصويت على القرار اليوغوسلافي، وإمّا دول صوّتت لتأييد القرارين معاً، وإمّا دول امتنعت عن التصويت عليهما معاً.

وتضم المجموعة الثالثة دولتين فقط، هما نيجيريا والجابون: حيث أيدتا بشكل غير حاسم

---

(١) انظر:
Baffour Ankoma، «Let us Recognize Israel»، New African، October 1988، p16.

(٢) Ibid، pp 53 - 56.



القرار اليوغوسلافي.

ويُلاحظ أن هذه المواقف المائعة لا علاقة لهـا البتة بطبيعـة القرارين؛ بقـدر ارتباطها بمواقف ومتغيّـرات خارجية خاصة بالعلاقات مع أطراف النزاع[1].

وتضم المجموعـة الرابعة دولاً مسـاندة للموقـف العربـي ومعاديـة لإسـرائيل: مثل موريتانيا والصومال، وبعض الدول التي انتهجت سياسـات راديكالية، مثل مالي وغينيا، كما أن بعضها الآخر اتّسـم بوجود أغلبية إسـلامية ترتبط بعلاقات وثيقة مع العالم العربي.

وعليـه؛ إذا أخذنـا بعين الاعتبـار الدول التي ساندت الموقف الإسرائيلي، سواء بشكل حاسـم أو غير حاسـم، لوجدنا أنها تصل إلى عشـرين دولة، بيد أن هذا التوجه تغيّر تماماً عند مناقشـة قرار الأمـم المتحدة الذي يرى الصهيونية شـكلاً من أشكال العنصرية، حيث صوّت لتأييد القرار عشـرون دولـة إفريقية من غيـر الأعضاء في جامعة الـدول العربية (باسـتثناء الصومـال وموريتانيا)، كما عارض القرار خمـس دول فقط، بينمـا امتنعت عن التصويت اثنتا عشرة دولة[2].

وليـس بخاف أن هذين المثالين يعكسـان بجلاء الدور الإفريقي في الأمم المتحدة، وهو ما ظهر مرة أخـرى عند إلغاء هذا القرار عام ١٩٩١م.

جدول رقم (١)

السلوك التصويتي للمجموعة الإفريقية جنوب الصحراء تجاه قرار الأمم المتحدة بشأن العدوان الإسرائيلي عام ١٩٦٧م[3]

المجموعة الأولى: دول صوّتت بـ (نعم) لتأييد قرار أمريكا اللاتينية، و بـ (لا) للقرار اليوغوسلافي (الإجمالي ٨):		
بوتسوانا جامبيا غانا ليسوتو		ليبيريا ملاجاشي مالاوي توجو
المجموعة الثانية: دول أيدت قرار أمريكا اللاتينية ولكن بصورة غير حاسمة (الإجمالي ١٢):		
دول صوتـت لتأييد قـرار أمريكا اللاتينية وامتنعـت عن التصويت للقرار اليوغوسلافي:		دول صوّتت لتأييد القرارين معاً
إفريقيا الوسطى تشاد بنين إثيوبيا	كوت ديفوار سيراليون بوركينافاسو	رواندا الكونغو كينشاسا الكاميرون كينيا النيجر
المجموعة الثالثـة: أيّدت القرار اليوغوسـلافي، ولكن بصورة غير حاسـمة، صوّتت لتأييد القرار اليوغوسلافي وامتنعت عـن التصويت لقرار أمريـكا اللاتينية (دولتان فقط): نيجيريا - الجابون.		
المجموعة الرابعة: صوّتت لتاييد القرار اليوغوسـلافي وضد قرار أمريكا اللاتينية (الإجمالي ١٠ دول): بوروندي - السـنغال - الصومـال - أوغندة - زامبيـا - الكونغو برازافيل - غينيا - مالي - موريتانيا - تنزانيا.		

(١) لمزيد من التفصيلات حول مواقف الدول الإفريقية من حرب عام ١٩٦٧م انظر: Africa Research Bulletin. July 15. ١٩٦٧.

وحول سلوكها التصويتي إزاء إسرائيل انظر:
United Nations. General Assembly. Official Records. Fifth Emergency Special Session. New York. 1967.

(٢) Samuel Decalo. «Africa and the U.N. Anti-Zionism Resolution». Cultures et Development. 8. 1976. pp. 89 - 117.

(٣) المصدر:
Fouad Ajami and Martin H. Sours. Israel and Sub-Saharan Africa: A Study of Interaction. African Studies Review. Vol. 13. No. 3 (Dec. 1970). 411.



جدول رقم (٢)

التصويت الإفريقي على قرار مساواة الصهيونية بالعنصرية ١٩٧٥م[١]

تأييد (٢٠)	معارضة (٥)	امتناع (١٢)
بوروندي	إفريقيا الوسطى	بوتسوانا
الكاميرون	كوت ديفوار	الجابون
كيب فرد	ليبيريا	غانا
تشاد	مالاوي	كينيا
الكونغو	سوازيلاند	ليسوتو
بنين		موريشيوس
غينيا الاستوائية		سيراليون
غامبيا		توجو
غينيا		بوركينا فاسو
غينيا بيساو		زائير
مدغشقر		زامبيا
مالي		إثيوبيا
موزمبيق		
النيجر		
نيجيريا		
رواندا		
ساوتومي		
السنغال		
تنزانيا		
أوغندة		

الجاليات اليهودية في إفريقيا:

من المعلوم أن إفريقيا تحتضن بين ظهرانيها جاليات يهودية متفاوتة الأحجام ومتباينة القوة والتأثير[٢]، ففي شمال إفريقيا جماعات من اليهود السيفارديم الذين قدموا بالأساس من إسبانيا والبرتغال خلال القرنين الخامس عشر والسادس عشر، أضف إلى ذلك قدوم جماعات من اليهود الإشكيناز من شمال أوروبا وشرقها إلى إفريقيا خلال القرنين التاسع عشر والعشرين.

وإذا كان حجم هذه الجاليات، خارج جمهورية جنوب إفريقيا، هو جدّ متواضع؛ إلا أن وضعها الاقتصادي في بعض دول إفريقيا جنوب الصحراء، مثل كينيا، يتّسم بالقوة والتأثير.

ويمكن القول أن يهود الفلاشا الإثيوبيين يمثّلون واحدة من أفقر الجاليات اليهودية في العالم؛ على الرغم من اعتقادهم الراسخ بأنهم يمثّلون القبيلة المفقودة في التاريخ الإسرائيلي، وقد تم نقل معظم الفلاشا إلى إسرائيل جواً عبر السودان فيما عُرف باسم «العملية موسى»، والتي بدأت في عام ١٩٨٣م، ووصلت إلى ذروتها خلال الفترة من نوفمبر ١٩٨٤م وفي مارس ١٩٨٥م[٣]، وبالمقابل؛ فإن الجالية اليهودية في جنوب إفريقيا تعدّ واحدة من أغنى الجاليات اليهودية في العالم.

وطبقاً لأحد التقديرات؛ فإن مساهمة يهود جنوب إفريقيا في خزانة الدولة العبرية تأتي في المرتبة الثانية بعد مساهمة يهود الولايات المتحدة، بيد أنه إذا أخذنا بعين الاعتبار حجم كلٍّ من الجاليتين نلاحظ أن تبرعات يهود جنوب إفريقيا، نسبةً إلى كلّ شخص، تفوق في بعض السنوات تبرعات اليهود الأمريكيين.

ولعل القضية المثيرة للاهتمام عند دراسة أوضاع الجالية اليهودية السوداء في إسرائيل تتصل بمفهوم الهوية اليهودية السوداء، ونظرهم إلى

(١) المصدر: U.N. Chronicle، December 1975، 38، 39.

(٢) Ali AL.Mazrui، The Africans: A Triple Heritage، London: BBC publication، 1986، p 85.

(٣) يُقدر إجمالي يهود الفلاشا الذين نقلوا إلى إسرائيل بمقتضى قانون العودة بنحو أربعين ألفاً، انظر: Steven Kaplan، The Bita Israel (Flasha) in Ethiopia: From Earliest Times to theTwentieth century، New York: New YorkUniversity press، 1992.



إسرائيل بوصفها جزءاً من التراب الإفريقي، إذ كان يقطنها في الأصل شعوب إفريقية داكنة البشرة[(١)].

وأيّاً كان الأمــر؛ فإنه لا يمكن التقليل من أهمية متغيّــر الجاليــات اليهودية في تخطيــط العلاقات الإسرائيلية الإفريقية وتوجيهها؛ إذ لا يخفى أن نحو ٢٠٪ من إجمالي المهاجرين اليهود إلى إسرائيل خلال الفترة من (١٩٤٨م إلى ١٩٩٥م) هم من إفريقيا[(٢)].

> **الموقف الإفريقي على المستوى الشعبي خلال عقدي الخمسينيات والستينيات كان مؤيداً للقضية الفلسطينية بشكل صريح وواضح**

ويمكن القــول - إجمالاً - بأنه بالرغم من عدم وجود جاليات يهوديــة كبيرة في إفريقيا؛ فإن بعض الجاليــات اليهودية الصغيرة والأفراد قد مارســوا دوراً مهماً في تقوية الروابط الإسرائيلية الإفريقية، ويمكن في هذا السياق أن نشير إلى حالة «إسرائيل ســومان»، رجل الأعمال الكيني الذي شــغل منصب عمدة نيروبي، حيث قام بتقديم قادة إســرائيل إلى زعماء كلٍّ من كينيا وأوغندة، حتى قبل حصول كينيا على استقلالها[(٣)].

طبيعة الدولة والنظام الحاكم في إفريقيا:

ارتبطــت المواقــف الإفريقيــة من إســرائيل والقضية الفلســطينية ارتباطاً وثيقاً بطبيعة الدول والنُّظم السائدة فيها، فالنُّظم الراديكالية التي تبنّت صيغة إفريقية للماركســية، مثــل أنجولا وموزمبيق وغينيا بيســاو، لم يكن لديها روابط بالدولة العبرية على الإطلاق قبل سقوط الاتحاد السوفييتي، كما أن الدول الإفريقية ذات الطبيعية الراديكالية في نظام الحكم، مثل مدغشــقر والكونغو برازفيل وبينين، قد واصلت مقاطعتها لإسرائيل في أعقاب قطع الروابط الدبلوماسية بعد حرب أكتوبر ١٩٧٣م.

ومن جهة أخرى؛ فإن عدداً من الدول الإفريقية التي اعتبرت نفســها نموذجاً للاشتراكية الإفريقية، مثل غانا ومالي وغينيــا وتنزانيا، قد حافظت على علاقاتها الوثيقة مع إسرائيل حتى عام ١٩٦٧م، فقد نظرت هذه الدول إلى إســرائيل بوصفها رائدة في مجال التنمية الاشتراكية.

أما الــدول ذات النُّظم المحافظــة؛ فقد كانت هي الأخرى ميداناً خصباً للتأثير الإسرائيلي؛ مثلما حدث مع كينيا ومالاوي وكوت ديفوار.

أضف إلى ما سبق المتغيّر القيادي داخل الدول الإفريقية، حيث أدى دوراً مهماً في التأثير في طبيعة المواقف الإفريقية تجاه فلسطين، فالارتباط باليهود أو القيام بزيارة إســرائيل أو المعتقدات الدينية أو الحاجة إلى الدعم الإســرائيلي، كلها مثّلت متغيرات مهمّة في تفسير سلوك القادة الأفارقة تجاه القضية الفلســطينية، وعلى سبيل المثال؛ فإن بعض القادة، مثل: هيلا سلاســي فــي إثيوبيا، وهوفيــت بوانيه في كوت ديفوار، وليوبولد ســنجور في الســنغال، وجوموكينياتــا في كينيا، ووليــم توبمان في ليبيريا، وموبوتو في زائير، وشيلوبا في زامبيا، كان لهم تأثير

---

(١) انظر في تفصيلات ذلك: Fran Markowitz، Israel As Africa، Africa As Israel: "Divine Geography» in the Personal Narratives And Community Identity of the Black Hebrew Israelites، Anthropological Quarterly، vol.69، No.4، October 1969، pp 193 - 206.

(٢) وطبقاً لإحصاءات مؤسسة التعاون الإسرائيلي الأمريكي؛ فقد بلغ عدد المهاجرين اليهود إلى إسرائيل والقادمين من إفريقيا حوالي (٤٨٤٠٦٧)، وذلك على النحو الآتـي: (٣٨١٦١٨) من المغرب العربي، وٍ (٤٨٦٢٤) من إثيوبيا، و (٣٧٥٤٨) من مصر والسودان، وأخيراً حوالي (١٦٢٧٧) من جنوب إفريقيا، انظر: The American-Israeli Cooperative Enterprise (1988 at (www. israel.org. / j source/Immigration).

(٣) Benyamin Neuberger، Israel' s Relations with the Third World.Tel Aviv University: Research Paper، n. 5، 2009، p 35.





واضح في دعم علاقات بلادهم بإسرائيل.

وقد مارست العلاقات والروابط الشخصية بين أسياس أفورقي وإسرائيل دوراً مهماً في تأسيس العلاقات الإريترية الإسرائيلية[1].

وفي المقابل؛ فإن المتغيّر القيادي يمكن أن يكون عقبة أمام تطوير العلاقات الإسرائيلية الإفريقية، كما حدث في حالة كينيث كاوندا في زامبيا، وعايدي أمين في أوغندة.

وقد استطاعت الدعاية الإسرائيلية استغلال بعض القضايا الحساسة في التاريخ الإفريقي، مثل تجارة الرقيق، وإحداث نوع من المشابهة بين معاناة الشعبين الإفريقي واليهودي، وعليه فقد وجدنا ثنائيات معبّرة عن هذه المشابهة في الأدبيات الصهيونية، مثل نفي اليهود وتشتت السود خارج أوطانهم، والرق والمحرقة، والصهيونية والصهيونية السوداء، ولذلك لم يكن خافياً أن الآباء المؤسّسين للقومية الإفريقية، مثل دبوا وبادمور ونكروما ونيريري، كانوا على يقين تام بأن ثمة ارتباطاً وثيقاً بين معاداة السامية والعنصرية البيضاء.

وفي هذا السياق؛ استغلت إسرائيل ما نُسب إلى التجار العرب من دور في تجارة الرقيق في شرق إفريقيا (أي في جنوب السودان وأوغندة وكينيا وتنزانيا وشرق الكونغو)؛ من أجل كسب ثقة الزعماء الأفارقة في المنطقة وتعاطفهم[2].

العوامل الدولية:

كان لبعض العوامل النابعة من تطوّر النظام العالمي تأثير ملموس في تطوّر المواقف الإفريقية إزاء فلسطين، ففي زمن الحرب الباردة كانت الدول الموالية للغرب (ولا سيما الولايات المتحدة)، مثل كينيا وكوت ديفوار، تحافظ على علاقات وثيقة مع إسرائيل، أما الدول الموالية للاتحاد السوفييتي، مثل أنجولا وموزمبيق، فإنها كانت أكثر عداءً لإسرائيل، وفي المقابل؛ فإن الدول غير المنحازة، مثل تنزانيا في عهد نيريري، أو مالي في عهد كيتا، اتّسم سلوكها الخارجي إزاء إسرائيل بالتناقض الواضح.

ويلاحظ أن مدى عمق الروابط الإفريقية مع العالم العربي، وخصوصاً خلال الفترة الناصرية، قد مثّل قيداً مهمّاً على تطوّر العلاقات الإسرائيلية الإفريقية، ويمكن أن نشير هنا إلى حالات مثل غينيا في عهد سيكوتوري، ومالي في عهد موديبو كيتا.

ثانياً: مسارات المواقف الإفريقية واتجاهاتها:

يمكن التمييز بين مراحل ثلاث تشير إلى تباين المواقف الإفريقية إزاء كلٍّ من إسرائيل والقضية الفلسطينية، وذلك على النحو الآتي:

الاتجاهات الإفريقية المبكرة تجاه إسرائيل:

لقد رأى كثير من القادة الأفارقة في النموذج الإسرائيلي للتنمية، ولا سيما الزراعية، مجالاً للتعاون المشترك، كما أنه في الوقت نفسه لم تساورهم أدنى الشكوك في أن دولة صغيرة بحجم إسرائيل يمكن أن تسعى للهيمنة السياسية للقوى الاستعمارية السابقة.

وبمراجعة أدبيات حركة التحرّر الإفريقي نجد أن عدداً من مثقفي ورواد هذه الحركة قد رأى في الصهيونية والقومية اليهودية نموذجاً يُحتذى من أجل نهضة وتحرّر الشعوب السوداء في إفريقيا، وعادة ما تمت المقارنة بين سعي اليهود من أجل إقامة وطن قومي لهم، والبحث عن جذورهم التاريخية بطموح الأفارقة الذين تقطّعت بهم السبل في الولايات المتحدة ومنطقة الكاريبي، وأملهم في العودة إلى إفريقيا وتحريرها من نير الاستعمار، بل الأكثر من ذلك؛ فقد دعا بعض رواد حركة الوحدة الإفريقية الأولى إلى تبنّي مفهوم «الصهيونية السوداء»، ولعل من أبرز هؤلاء الرواد إدوارد بلايدن، ووليم ديبوا،

---

(١) من المعروف أن الزعيم الإريتري أسياسي أفورقي قد أُصيب بمرض الملاريا قبل إعلان استقلال بلاده عام ١٩٩٣م، وأنه نُقل إلى «مركز هداسا الطبي» داخل «إسرائيل» لتلقّي العلاج اللازم.

(٢) Neuberger, op.cit, p34.

وماركوس جارفي، وفرانس فانون[1].

ولا يخفى أن كثيراً من الآباء المؤسّسين لحركة التحرّر الوطنـي في إفريقيا، أمثـال جومو كينياتا في كينيا، وهوفييـه بوانيه في كوت ديفوار، وكوامي نكرومـا في غانا، قد تأثروا تأثراً بالغاً بهذه الأفكار حول معاناة الشعب اليهودي، ومن ثم أظهروا تعاطفاً واضحاً تجاه دولة إسرائيل.

وفي أعقـاب خيبة أمل إسـرائيل بعد إخفاقها فـي حضور مؤتمر باندونج عام ١٩٥٥م؛ قرّرت وزارة الخارجية الإسرائيلية تكثيف حركتها في إفريقيا حتى قبل اسـتقلال دولها، وذلك من أجل مراقبة الأوضاع هناك، وتعرّف قادة المسـتقبل في هذه الدول، فتم إيفاد يهودا بن ديفيد إلى السـنغال، وكلاً من نحميا أرغـوف ويروحام كوهين إلى نيجيريا، وياكوف دوري وآشر نعيم إلى كينيا، ويُلاحظ أن السلطات البريطانية والفرنسـية الاسـتعمارية قد راقبت نشاطات هؤلاء المبعوثين الإسرائيليين عن كثب.

وتُعطـي مهمـة رافائيل روبين مثـالاً نموذجياً للتحرّك الدبلوماسـي الإسـرائيلي في إفريقيا في سـنوات ما قبل الاسـتقلال، فقد أُرسل روبين إلى تنجانيقا قبل استقلالها، وعندما انخرط في أنشطة سياسـية من بينها مقابلة القادة السياسـيين، مثل جوليوس نيريري، أمره الحاكـم البريطاني بمغادرة المسـتعمرة، وبعـد مفاوضـات طويلة مـع وزارة الخارجية البريطانية تمكّن رافائيل روبين من البقاء والاستمرار في عمله، وحينما حصلت تنجانيقا على استقلالها، وأصبح جوليوس نيريري أول رئيس لها، تم تعيين روبين أول سفير إسرائيلي لديها.

ويشير آري عوديد، الدبلوماسي الإسرائيلي، إلى أنه في عام ١٩٦٠م، وفي بداية عمله الدبلوماسـي، أُسـندت إليه مهمّـة العمل بصفة باحـث زائر في جامعـة ماكريري في كمبالا بأوغنـدة، وهو الوقت الذي كانت فيه «ماكريري» تمثّل الجامعة الوحيدة في شـرق إفريقيا، وقد تمكّن عوديد من بناء صداقات مع كثير من الطلاب الذين تقلّدوا مناصب مهمّة بعد حصول أوغندة على استقلالها في ٢ أكتوبر ١٩٦٢م.

ولعل من أبرز الأسـماء يوسف لولي الذي طلب من عوديد تنظيم زيارة له لإسرائيل في عام ١٩٩١م، وحينمـا أصبح لولي رئيسـاً لأوغنـدة عام ١٩٧٩م ساعد في الحصول على رفات الإسرائيلية دور بلوخ التي لم تتمكن القوات الإسـرائيلية من إنقاذها في أثناء «عملية عنتيبي» عام[2] ١٩٧٦.

اشتكى الأفارقة دوماً من أن وعود العرب بتقديم المساعدات لهم كانت في معظمها سراباً لم يتحقق

وكان هـدف إسـرائيل خـلال فتـرة أواخر الخمسـينيات والسـتينيات من القرن الماضي هو الحصول على دعم الدول الإفريقية لإسـرائيل في قضية الصراع العربي الإسرائيلي، اتضح ذلك بجلاء من قيام إسـرائيل بتأسيس سفارات لها في العديد من الـدول الإفريقية، وقيام الزعماء الإسـرائيليين والأفارقة بزيارات متبادلة.

بالإضافة إلـى زيارات جولـدا مائير الخمس لإفريقيا؛ قام شـيمون بيريز، الـذي أضحى مديراً عاماً لوزارة الدفاع، بزيارة غانا وغينيا عام ١٩٥٩م، حيث التقى كلاً من نكروما وسيكوتوري على التوالي، كما قام إيجال ألون، بصفتـه مبعوثاً خاصاً لرئيس

(١) Yvonne Chireau and Nathaniel Deutsch ، eds.، Black Zion: African American Religious Encounters with Judaism،Oxford University Press، USA 1999.

(٢) «عملية عنتيبي»: قامت بها قوات الكوماندوز الإسرائيلية التي نقلت جواً إلى مطار «عنتيبي» في أوغندا في ٤ يوليو ١٩٧٦م، وذلك لتحرير ركاب طائرة «إير فرانس» التي اختُطفت من قِبل مسلحين فلسطينيين.



الحكومة الإسرائيلية ديفيد بن جوريون، بزيارة إفريقيا مرتين في عامي ١٩٦٢م و ١٩٦٣م.

وفي أغسطس من العام ١٩٦٢م؛ قام الرئيس الإسرائيلي إسحاق بن زيفي بزيارة خمس دول إفريقية في غرب إفريقيا، وفي عام ١٩٦٦م قام رئيس الوزراء ليفي أشكول بزيارة السنغال وكوت ديفوار وليبيريا والكونغو كينشاسا ومدغشقر وأوغندة وكينيا، وقد ذكر أشكول في خطابه أمام الكنيست أن أنشطة إسرائيل داخل إفريقيا تشمل وجود نحو (١٥٠٠) خبير إسرائيلي، يعملون في مشروعات للتنمية في إفريقيا، كما تم تدريب نحو (٦٣٠) إفريقي داخل إسرائيل.

ومن اللافت للانتباه حقاً أن أشكول كان على قناعة تامة بأن الطريق إلى القاهرة لا بد أن يمر عبر باماكو (مالي) وأبيدجان (كوت ديفوار)، وبالإضافة إلى ذلك فقد تم إرسال العشرات من المبعوثين الإسرائيليين إلى إفريقيا بهدف الحصول على الدعم والتأييد السياسي لإسرائيل.

وبالمثل؛ فقد زار العديد من الرؤساء والوزراء الأفارقة إسرائيل، وعلى سبيل المثال استضافت إسرائيل عشرة رؤساء أفارقة خلال الفترة من ١٩٦٠م إلى ١٩٦٣م، وكالمعتاد في نهاية كلّ زيارة يتم التوقيع على بيان مشترك يؤكّد إدانة الاستعمار والتفرقة العنصرية، ويطالب باستقلال جميع الدول الإفريقية، كما يمتدح في الوقت نفسه التعاون بين إفريقيا وإسرائيل[(١)].

وثمة مجموعة من المتغيّرات الدولية والإقليمية تفسّر لنا أسباب الهجمة الدبلوماسية الإسرائيلية على إفريقيا، ومن ذلك:

موجة استقلال الدول الإفريقية في الستينيات، وهو ما يعني زيادة قدرتها التصويتية في الأمم المتحدة، حيث كان الصراع العربي الإسرائيلي من أبرز القضايا التي تُطرح دوماً للتصويت.

إنشاء منظمة الوحدة الإفريقية عام ١٩٦٣م، وهو ما يمثّل تحدياً أمام إسرائيل، حيث إنها لا تتمتع بالعضوية في هذا التجمّع الأفروعربي.

عضوية مصر ودول عربية أخرى في كلٍّ من جامعة الدول العربية ومنظمة الوحدة الإفريقية، وهو ما أسهم في إقامة تحالفات عربية إفريقية، وخصوصاً مع بعض القادة الراديكاليين أمثال نكروما وسيكوتوري.

ومن الجدير بالملاحظة؛ أن الموقف الإفريقي على المستوى الشعبي خلال عقدي الخمسينيات والستينيات كان مؤيداً للقضية الفلسطينية بشكل صريح وواضح، كما تجلّى ذلك في مؤتمرات تضامن الشعوب الأفروآسيوية المنعقدة خلال الفترة من عام ١٩٥٧م وحتى عام ١٩٦٥م، وكذلك مؤتمرات الشعوب الإفريقية التي عُقدت في أكرا وتونس والقاهرة خلال الفترة الزمنية نفسها التي سلف الإشارة إليها، فقد بحثت هذه الاجتماعات قضايا النضال والتحرّر الوطني في القارتين الإفريقية والآسيوية، وقرّرت تقديم الدعم والمساعدة اللازمة لها، وكان طبيعياً أن يكون من بين تلك القضايا القضية الفلسطينية[(٢)].

التحوّل في الموقف الإفريقي:

اتّسمت السنوات الواقعة بين عامي ١٩٦٧م – ١٩٧٣م بوجود تغيّر ملاحظ في مدركات الأفارقة تجاه القضية الفلسطينية، وربما يُعزى ذلك إلى نجاح الجهود العربية في منظمة الوحدة الإفريقية وفي الأمم المتحدة في استصدار قرارات بإدانة إسرائيل وسياساتها التوسعية.

وعلى سبيل المثال؛ فقد أضحت أزمة الشرق

(١) Oded, Arye. Africa in Israeli Foreign Policy— Expectations and Disenchantment:Historical and Diplomatic Aspects, Israel studies, volume 15, number 3, Fall 2010, pp 129 - 130.

(٢) انظر في تفصيلات ذلك: عمر سالم: التضامن العربي الإفريقي تجاه القضية الفلسطينية ١٩٤٧م ١٩٨١-م، مجلة جامعة أم القرى، العدد ١٩، ١٩٨٢م.

الأوسط في أعقاب حرب ١٩٦٧م موضوعاً للجدل والنقاش على أجندة القمم الإفريقية المتعاقبة، ولا أدلّ على ذلك من أن منظمة الوحدة الإفريقية قرّرت تشكيل لجنة تضم عشرة حكماء أفارقة للتوسط بين مصر وإسرائيل، وقد ترأس هذه اللجنة الرئيس الموريتاني مختار ولد داده، على أن الحكماء العشرة ألّفوا لجنة مصغرة برئاسة ليوبولد سنجور رئيس السنغال، وعضوية رؤساء نيجيريا والكاميرون وزائير، وقد قبلت إسرائيل على مضض التعاون مع هذه اللجنة التي زارت كلاً من مصر وإسرائيل في نوفمبر ١٩٧١م(١).

على أن تقرير لجنة سنجور جاء معتدلاً وتوفيقياً، حيث ركّز في أهمية التفاوض استناداً إلى مرجعية قرار الأمم المتحدة رقم ٢٤٢ الصادر في ٢٢ نوفمبر ١٩٦٧م، وضرورة استئناف وساطة المبعوث الدولي جونار يارنج، لم يكن بمستغرب أن يرفض الرئيس ولد داده هذا التقرير ويقدم تقريراً آخر أكثر انتقاداً لإسرائيل.

وقد اتهمت مصر إسرائيل بالمسؤولية عن إخفاق مهمة لجنة الحكماء الأفارقة نظراً لرفضها الانسحاب إلى حدود يونيو ١٩٦٧م، وهو الأمر الذي أيدته منظمة الوحدة الإفريقية، ففي أثناء قمة الرباط عام ١٩٧٢م أكّد الزعماء الأفارقة ضرورة جلاء إسرائيل عن كلّ الأراضي الإفريقية والعربية التي احتلتها عام ١٩٦٧م.

قبل حرب أكتوبر ١٩٧٣م كانت إسرائيل تقيم علاقات دبلوماسية مع خمسة وعشرين دولة إفريقية، بيد أنه في الأول من يناير عام ١٩٧٤م تقلّص هذا العدد ليصل إلى خمس دول فقط، هي: جنوب إفريقيا، وليسوتو، ومالاوي، وسوازيلاند، وموريشيوس.

وليس بخاف أن الدول الإفريقية التي قامت بقطع علاقاتها الدبلوماسية مع إسرائيل قد فعلت ذلك تأييداً للموقف المصري بحسبان مصر دولة إفريقية تسعى إلى استعادة أراضيها من الاحتلال الإسرائيلي، بيد أن بعض الباحثين يحاول تفسير الموقف الإفريقي بأنه كان يرمي إلى الحصول على المساعدات العربية، وخصوصاً من الدول النفطية.

وثمة مجموعة من العوامل أسهمت في دعم الموقف العربي في مواجهة الكيان الصهيوني خلال عقد السبعينيات، فقد شهدت هذه الفترة ظهور تجمّعات لدول العالم الثالث تعبّر عن مستوى أو آخر من التضامن، مثل منظمة الدول المصدّرة للبترول (أوبك) ومجموعة الـ ٧٧، كما أن إسرائيل جوبهت بسلاح البترول العربي، ودعم كثير من دول العالم الثالث للموقف العربي، ففي عام ١٩٧٣م أصبح الرئيس الجزائري هواري بومدين رئيساً لحركة عدم الانحياز، وفي أثناء مؤتمر الحركة في الجزائر في العام نفسه اتخذ المؤتمرون قرارات تؤيّد كلاً من مصر وسوريا والأردن في استعادة أراضيها المحتلة، كما تدعو إلى قطع العلاقات الدبلوماسية مع إسرائيل، وكانت كلٌّ من كوبا وزائير وتوجو من أوائل الدول التي استجابت لدعوة المقاطعة تلك(٢).

وفي عام ١٩٧٤م رُشّح وزير الخارجية الجزائري عبد العزيز بوتفليقة رئيساً للجمعية العامة للأمم المتحدة، وقد استطاع العرب وبمساعدة قوّتهم النفطية إضفاء مزيد من الشرعية الدولية على منظمة التحرير الفلسطينية، ولا غرو أن تتم دعوة

(١) انظر في ذلك: محمود فلاحة: إسرائيل وتشاد: نحو سياسة عربية جديدة في إفريقيا، شؤون فلسطينية، ع ١٨ (شباط ١٩٧٣م)، ص ص ١١٤ – ١٢٤، وغودفري.هـ. جانسن: إسرائيل والدول الأفرو – آسيوية، – ط ١، بيروت، لبنان: منظمة التحرير الفلسطينية، مركز الأبحاث، ١٩٧٠م.

(٢) ارتفع عدد الدول الإفريقية التي قطعت علاقاتها بإسرائيل، وارتفعت معها الادعاءات الإسرائيلية وردود فعلها على هذه الخطوة، وانتقلت من اعتبار أن هذه الدول تلقّت رشوة لاتخاذ هذه الخطوة.. إلى توجيه السباب لرؤساء هذه الدول، «على أن هذه الدول الإفريقية عرفت ووعت حقيقة الكيان الصهيوني وهويته العنصرية ودوره الإمبريالي في إفريقيا وآسيا»، انظر في ذلك: عماد شقور: إسرائيل – إفريقيا فصل جديد من سفر الخروج، شؤون فلسطينية، ع ١٨ (شباط ١٩٧٣م)، ص ص ٢١٧ – ٢١٨.



ياســر عرفات في ١٣ نوفمبر ١٩٧٤م لإلقاء خطاب أمام الجمعية العامة، وأن يُعامل معاملة رؤساء الدول، وذلك بشكل غير مسبوق في تاريخ المنظمة الدولية.

إضافة لما ســبق؛ فقد نجحت الحملة العربية الرامية إلى عزل إسرائيل ووصفها بالعنصرية، حيث تمت مساواتها بالنظام العنصري في جنوب إفريقيا، واستفادت الحملة العربية من المواقف والسياسات الإسرائيلية في إفريقيا، مثل:

الدعم الإسرائيلي للحركات الانفصالية الإفريقية على شاكلة بيافرا في نيجيريا وجنوب السودان.

دعم نظام التفرقة العنصرية في جنوب إفريقيا وتأييده.

صفوة القول؛ أن الموقــف الإفريقي وإن كانت له دلالات سياسية و دبلوماســية واضحة من زاوية الصراع العربي الإسرائيلي؛ فإن إسرائيل ظلت على علاقة وثيقة - ولو بشــكل غير رســمي- مع معظم الدول الإفريقية التي قامــت بقطع العلاقات معها، وليس أدل على ذلك من أن التجارة الإســرائيلية مع إفريقيا خــلال الفترة من عــام ١٩٧٣م وحتى عام ١٩٧٨م قــد تضاعفت من ٥٤،٨ مليــون دولار إلى ١٠٤،٣ ملايين دولار، وتركّزت هذه التجارة بالأساس في الزراعة والتكنولوجيا.

وبنهاية عقد الســبعينيات وأوائــل الثمانينيات كثّفت إســرائيل جهودها من أجل إعــادة علاقاتها الدبلوماســية بإفريقيا، حيث قــام وزير خارجيتها بإجراء اجتماعات مباشــرة مع الزعمــاء الأفارقة، ســواء في الأمم المتحدة أو في العواصم الإفريقية، ومع ذلك فقد باءت هذه الحملة الإفريقية بالفشل.

وقد أظهرت دراســة مهمّة أُجريت عن السلوك التصويتــي للــدول الإفريقية في الأمــم المتحدة بخصوص الصراع في الشــرق الأوسط خلال الفترة من ١٩٦٧م وحتى ١٩٧٢م بعض النتائج المهمّة حول اتجاهات التصويت والعوامل المؤثرة فيه.

وتتمثّل القواســم المشــتركة التي ميّزت الدول الأكثر انتقاداً لإسرائيل في العوامل الآتية:

تبنّي سياسات خارجية ذات طابع راديكالي.

امتلاك علاقات دبلوماســية قوية مــع العالم العربي.

وجود أغلبية ســكانية مســلمة أو أقلية مسلمة كبيرة.

وفي المقابل؛ فــإن الدول الإفريقية الأقل عداء لإسرائيل وإن امتلكت علاقات دبلوماسية مع العرب؛ فإنها احتفظت بعلاقات صداقة مع إســرائيل، كما أنهــا من الناحية الجغرافيــة كانت خطوط التماس العربية الإفريقية.

أما باقي الدول الإفريقية التي أيدت إسرائيل؛ فإنها اتّسمت بما يأتي:

تبنّي سياسات خارجية معتدلة وموالية للغرب.

امتلاك علاقات دبلوماســية محدودة مع العالم العربي.

الاحتفاظ بعلاقات قوية مع إسرائيل.

البعــد الجغرافي عــن العالم العربــي، ووجود أغلبية سكانية مسيحية، وعادة ما تنتمي إليها النخبة الحاكمة.

وحتى عام ١٩٧٢م لم تستطع الدبلوماسية العربية الحصول على تضامن إفريقي عام بشأن الصراع في الشــرق الأوســط، وربما يُعزى ذلك - علاوة على ما ســلف بيانه من متغيّرات تتعلــق بنظرة الأفارقة وقادتهم إلى إسرائيل وتوازنات القوى الدولية - إلى سياسات المســاعدات التقنية الإسرائيلية الموجّهة لإفريقيا.

وبالرغم من ذلك ظلت القضية الفلسطينية موضوعاً دائماً على أجندة القمم الإفريقية منذ عــام ١٩٦٧م، حيث حرصت الــدول الإفريقية على دعم منظمة التحرير الفلســطينية، وتأييد الحقوق المشــروعة للشــعب الفلسطيني وفقاً لقــرارات الشــرعية الدوليــة، وكذلك رفض سياسات التوسّــع والاستيطان الإســرائيلية،

ورفض إعلان القدس عاصمة لإسرائيل، وعلى سبيل المثال أشارت القمة الإفريقية عام ١٩٨٥م بضرورة دعم الدول الإفريقية لمنظمة التحرير الفلسطينية، وفتح سفارات لها في عواصمها، والدعوة لعقد مؤتمر دولي للسلام في الشرق الأوسط.

٣- تراجع المواقف الإفريقية وعودة التأييد لإسرائيل:

لقد شهدت هذه المرحلة إعادة تأسيس العلاقات بين إسرائيل وإفريقيا مرة أخرى، وخصوصاً خلال عامي ١٩٩١م و ١٩٩٢م، وربما يُعزى ذلك إلى:

أ – توقيع معاهدة السلام المصرية الإسرائيلية والجلاء الإسرائيلي من شبه جزيرة سيناء: فقد أكّدت معظم الدول الإفريقية التي بادرت بقطع علاقاتها الدبلوماسية مع إسرائيل في أعقاب حرب ١٩٧٣م أنها فعلت ذلك تضامناً مع مصر، وعليه فإنه باستكمال الجلاء الإسرائيلي من سيناء عام ١٩٨٢م بدأت عملية عودة العلاقات الإفريقية مع إسرائيل، ففي مايو ١٩٨٢م كان أول رئيس إفريقي يُعلن استئناف علاقات بلاده مع إسرائيل هو جوزيف موبوتو رئيس زائير (الكونغو الديمقراطية حالياً)[١].

ولا شك أن توقيع اتفاق أوسلو مع الفلسطينيين عام ١٩٩٣م واتفاق السلام مع الأردن ١٩٩٤م قد أسهما بدورهما في استئناف العلاقات الإفريقية مع إسرائيل.

ب – خيبة أمل الأفارقة من العون العربي: لقد اشتكى الأفارقة دوماً من أن وعود العرب بتقديم المساعدات لهم كانت في معظمها سراباً لم يتحقق، كما أن بعض الرؤساء الأفارقة غير المسلمين قد اشتكوا بأنهم استُثنوا من تلقي المساعدات العربية التي تركّزت في الدول الإفريقية الأعضاء في منظمة المؤتمر الإسلامي.

أضف إلى ذلك عدم فعالية حركة التعاون العربي الإفريقي بعد النتائج الهزيلة التي أفرزتها القمة الأفروعربية عام ١٩٧٧م، كما عبّر الأفارقة عن استيائهم من الصراعات العربية العربية، وخصوصاً بعد توقيع اتفاقات كامب ديفيد، ومحاولة نقلها إلى منظمة الوحدة الإفريقية، وقد دفع ذلك ببعض المحاولات الإفريقية للتفكير في إقامة منظمة إفريقية زنجية تقصر عضويتها على الأفارقة دون العرب.

ج – الخوف من السياسات الليبية (في ظل نظام القذافي) المثيرة للجدل في إفريقيا: وفي بعض الحالات كان التضامن العربي مع ليبيا باعثاً على مثل هذا الخوف، كما حدث في أثناء النزاع الليبي التشادي، وفي الثمانينيات قامت نحو عشرين دولة إفريقية بقطع علاقاتها الدبلوماسية مع ليبيا، وقد خشيت معظم هذه الدول من نمط الحكم الذي تتبناه كلٌّ من إيران وليبيا والسودان، وعليه فإنها نظرت إلى علاقاتها مع إسرائيل بوصفها عاملاً للحدّ من تأثير غلواء السياسات الليبية في إفريقيا.

د – التغيرات في جنوب إفريقيا: ففي عام ١٩٨٧م انضمت إسرائيل للأمم المتحدة في حملتها من أجل فرض عقوبات على نظام الفصل العنصري في جنوب إفريقيا، وبعد انتخاب حكومة ديمقراطية في جنوب إفريقيا عام ١٩٩٤م بعد سقوط نظام التفرقة العنصرية تم تدعيم العلاقات الإسرائيلية مع جنوب إفريقيا.

هـ – تفكّك الاتحاد السوفييتي: فقد أدّى انهيار الاتحاد السوفييتي إلى التأثير في الدول الإفريقية ذات التوجّهات الراديكالية الموالية للسوفييت، مثل أنجولا وموزمبيق وإثيوبيا وسيشل، والتي أسرعت باستئناف أو تأسيس علاقات دبلوماسية جديدة مع إسرائيل.

---

(١) ذكر الرئيس موبوتو أنه عندما قرّر قطع العلاقات مع إسرائيل في أكتوبر ١٩٧٣م كان عليه الاختيار بين الشقيقة مصر والصديقة إسرائيل، ومن المنطقي أنه اختار تأييد مصر، ويضيف أنه «حينما انتهى الاحتلال واستردت مصر أراضيها الإفريقية؛ فإن أسباب القطيعة مع إسرائيل لم تعد قائمة».



و - تردي الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في إفريقيا ابتداءً من نهاية السبعينيات: وقد دفع ذلك بالدول الإفريقية إلى تبنّي «إعلان مونروفيا» عام ١٩٧٩م بشأن الاعتماد الإفريقي على الذات، والمطالبة بإقامة نظام عالمي جديد، وسرعان ما تم تبنّي هذا الإعلان من قِبل منظمة الوحدة الإفريقية، وأُطلق عليه «استراتيجية مونروفيا»، على أن المنظمة الإفريقية اجتمعت في أبريل عام ١٩٨٠م في لاجوس وأقرّت «خطة عمل لاجوس للتنمية الاقتصادية في إفريقيا (١٩٨٠م - ٢٠٠٠م)».

وعليه؛ فقد أسهمت برامج التعاون الفني منذ الستينيات في توفير المناخ الملائم لعودة إسرائيل إلى إفريقيا، وهو ما أثّر سلباً في المواقف الإفريقية من القضية الفلسطينية.

الخاتمة:

تقول جولدا مائير: «إنني فخورة جداً ببرنامج إسرائيل للتعاون الدولي، وبالمساعدات الفنية التي قدّمناها للشعب الإفريقي، وذلك قياساً بأي مشروع قمنا به في أي وقت مضى»(١)، وفي هذا السياق عبّر كثير من الأفارقة عن إعجابهم الشديد بالنموذج الإسرائيلي في التنمية، خذ على سبيل المثال الزعيم العمالي الكيني توم موبيا الذي لم يتردد في إظهار مديحه لتجربة إسرائيل في مجال زراعة الأراضي القاحلة وتنميتها.

يطرح ذلك كلّه أهمية الحديث عن أدوات إسرائيل في اختراق الفضاء الإفريقي، يعني ذلك أن إسرائيل استطاعت - ومنذ البداية - أن تسيطر على عقول الأفارقة وقلوبهم من خلال أدوات قوتها الناعمة.

وفي المقابل؛ نجد أن فترة الانقطاع التاريخية بين الشعبين العربي والإفريقي، والتي امتدت منذ مجيء الاستعمار الغربي، قد مثّلت تحدياً خطيراً أمام دعم جهود التضامن العربي الإفريقي.

كما أن تحديات العولمة الراهنة، وما تفرضه من مخاطر على كلٍّ من الشعبين العربي والإفريقي، تقضي بأهمية عودة التلاحم والتضامن بين الجانبين، وهو ما ينبغي أن ينعكس على أجندة جميع تنظيمات العمل الجماعي المشترك لدى الطرفين، ولا سيما الاتحاد الإفريقي وجامعة الدول العربية.

ولا بد من أن يدعم ذلك الموقف السياسي الشروع في تأسيس حوار استراتيجي جديد بين العرب والأفارقة، تُطرح من خلاله كلّ القضايا المشتركة، بهدف الوصول إلى رؤية واحدة لمواجهة تلك القضايا، ومن بينها القضية الفلسطينية بوصفها قضية تحرّر وطني تخص العالمين العربي والإفريقي.

وثمة تيار شعبي وفكري إفريقي يزداد في اندفاعه منذ انتهاء نظام الفصل العنصري في جنوب إفريقيا، ويؤكّد المقارنة بين نظام الأبارتهيد البائد في جنوب إفريقيا وسياسات الفصل العنصري التي تمارسها إسرائيل بحق الشعب الفلسطيني.

وفي هذا السياق؛ يمكن الإشارة إلى واحدة من أبرز رسامي الكاريكاتير في جنوب إفريقيا، وهي جوناثان شابيرو، حيث عارضت بشدة الاحتلال الإسرائيلي للأراضي الفلسطينية، كما أن الأسقف ديزموند توتو الحائز على جائزة نوبل للسلام ما فتئ يتحدث علناً ضد ظروف الفصل العنصري في فلسطين، وقد دفع ذلك ببعض التيارات الفكرية في جنوب إفريقيا إلى ضرورة الاستفادة من خبرة تحليل نظام الفصل العنصري والدعوة إلى تطبيق منظور جديد لتأسيس دولة ديمقراطية واحدة تضمن حقوق الشعب الفلسطيني المشروعة، فهل يمكن البناء على ذلك التيار الجديد لإحداث اختراق كبير في الموقف الإفريقي تجاه القضية الفلسطينية؟

---

(١) Meir, Golda. My Life. New York: Dell Publishing Co, 1975, p 265